

حديث الندوة اللبنانية

=====

لبنان في شخصيته وحضوره

ايها المستمعون الكرام :

في السابغ والعشرين من الشهر المنصرم ارتأت الندوة ان تقوم بواجب الوفاء نحو كبير كبير بين المفكرين اللبنانيين كان قد اختار منبرها منطلقا لصوته فشرعها باكتناز خواطره . هذه الخواطره خواطر ميشال شيحا ، كانت منشورة في منشورات خمس صدرت بين عام ١٩٤٨ و ١٩٥٤ باللغة الفرنسية وكان لها فعاليتها في القتل العقول والقلوب يوم القيت ونشرت . هذا الكبير غاب عنا يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٥٤ ، فشئنا ، احتفاء بالذكرى الثامنة لوفاته ، ان نعيد صوته الى الحبر والوجدان فعهدنا الى الجمعية الادبية فؤاد كنعان ان ينقل معاشراته الى العربية ثم اصدرناها في كتاب اسمناه " لبنان في شخصيته وحضوره " قدمته الندوة الى ملتقى دعا اليه رئيس مجلس أمنائها الاستاذ هنري فرعون فاجتمع في داره دولة الرئيس كرا والنخبة من رجال الفكر والادب وقادة الرأي في هذا الوطن .

في ذاك الملتقى ، تكلم الاستاذ فرعون فأكد على الدور الذي قام به الغائب الكبير في حياتنا الوطنية ، قال : " على الصعيد الاقتصادي ، نحن مدينون لميشال شيحا بنصيب كبير من نظامنا الاقتصادي الحر ومن ازدهارنا الاقتصادي بالتالي . وعلى الصعيد السياسي ، كان فقيدنا مستشارا لمعظم السياسيين عندنا ، لا ينشد نفعا ولا مصلحة خاصة ، وكان في طبيعة المدافعين عن المبادئ التي اتاحت لمختلف الاسر اللبنانية الروحية ان تتعايش في بلادنا باطمئنان وان تحقق ميثاق ١٩٤٣ ، فكان ان ركزت لبنان = استقلاله على قواعد طبيعية صلبة = وثابتة . "

وبعد الاستاذ فرعون ، كانت الكلمة لمعالي وزير الخارجية الاستاذ فيليب تولا . والاستاذ تولا يرى ان ميشال شيحا كان رجلا مثاليا وعمليا في وقت واحد معا ، وان عبقريته الفذة كانت في اقامة الجسور بين عبقرية الحلم وعبقرية الواقع . وهي لعمل مغامرة لا يخوضها الا المؤمنون ، وط = والنجاح فيها وقف على الحكمة وذلك هو سر العظمة في الرجال .

ويضيف معالي وزير الخارجية ان تاريخ لبنان ، في الفترة الممتدة من بداية الحرب الاولى الى نهاية الحرب الثانية ، هو ، في العميق من اسبابه ، محصل ذلك الجهاد عند ميشال شيحا وامثاله لاي فئة انتصوا لبنان . نخبة ارتفعوا الى مستوى الاحداث والى مستوى الرسالة فتبلور هذا الوطن في وعيهم وانبعثت صيته ، واصلت بين الماضي والحاضر ، مظلة على المستقبل بكل ما يزخر في شعب عريق من عزم على بعث امجاده ثنائ دوره في انشاء الحياة وتطوير الحضارة .

ويفيد الاستاذ تقلا ان ميشال شيحا لم يدخل معترك السياسة الا الى حين ، لكنه لم يغادره الا به ان ترك فيه علامة منه : الدستور . وفي ما اتصل بهذا الدستور ، نصا وروحا ، بالبحث بالتشيل الشعبي في بلد تعددت عناصره ، وتوزيع المسؤوليات بين اجهزة الحكم ، وتكريس الحريات الاساسية ، ما يلقي ضوءا على تفكير الرجل الكبير وعلى الطريق الذي سلكه بعد ان غادر المعترك . وكأني به ، يتابع الخطيب ، لم يغادره الا لهندس به بأن مكانه هو مكان القادة يرون منه ما لا يراه الجنود خلال الغبار ، فيرسومون الخد ويوجهون المعركة .

وفي الواقع ، ان لميشال شيحا في العمل الوطني يد المهندس الباني ويد القائد المدافع عن البناء . في دوران مختلفان في المظهر ، متحدان في الجوهر والغاية . وقد كان يقينه ان ما يسهم في بنائه وفي الدف عنه شي ، يسمو على مشاغل الحياة العابرة . وفي الصرخة التي اطلقها ، في محاضرة له من المحاضرات التي تولف كتابا جديدا ينضم الى سلسلة الكتب الذخائر ، ما يفصح عن هم ، ويذكر بالصرخة التي اطلقها السيد المسيح على متهمي الهيكل ، عنيت قول ميشال شيحا : " ان ما نبنيه وما نطبع اليه في النهاية ليس فندقا لسائح او دكانا لتاجر او مكتبا لجوازات المهاجرين واللاجئين . نحن نطبع لبناء وطن وانشاء دولة " .

في المرحلتين الحاسمتين من تاريخ لبنان الحديث - يوم انبعث في حدوده الحاضرة ويوم اصبح سيدا فيها - يوم كانت المهمة هي نفع روح لبنان القديم في هيكله الجديد ومدته بالماء المحيي من جذوره الضاربة في اعماق التاريخ والحضارة - يوم كانت المهمة هي التأليف بين الجبل والشاطئ ، بين السلسلة الفقيرة والرؤ في الجسم الواحد - يوم كانت المهمة هي ازالة الحجب بين ابناء الوطن الواحد والموافقة بينهم وشد بعضهم الى بعض ، على اساس ان اختلافهم ليس خلافا بين قيم ، بل تنوعا لها وتعدادا ، وبالتالي وفرة وغنى - يوم كانت المهمة بعد ذلك هي = الاستجابة لدعوة لبنان في زحمة للاخطار المحيطة به وبالعالم ، باستتجازا لحرية واستقلاله - يوم كانت المهمة هي ارساء قواعد التعاون بين لبنان والدول العربية الشقيقة في ميثاق الجامعة ، وبينه وبين العالم ، على صعيد السياسة والثقافة والاقتصاد جميعا - يوم كانت المهمة هي دق ناقوس الخطر وتبصير لبنان والدول العربية والعالم بعاقبة تدفق اليهود على فلسطين واقامة اسرائيل واستشراء المتطامع الصهيونية - يومها ، كان ميشال شيحا لتلك المهمات في مقدمة من كان ، بل كان الداعي اليها وموجهه العاملين في سبيلها ، بأيمان وحكمة ، وببعد نظر يقرب من النبوة .

اما في مجال تجهيز لبنان - بعد ابراز شخصيته وتحديد رسالته - بجهاز الحكم وكيفية تسييره ، فقد كانت له آراء ومواقف صدر فيها ، كما صدر عن اخواتها ، عن معرفة باوضاع هذه البلاد وتقاليدها ، وطباع اهلها وموهلاتهم ، ووعي لمعطيات العصر ، ملتزما في ذلك كله الحرية ، ايمانا منه بان لبنان لا يستقيم له

امر الا بالحرية ، فمؤسسته المطبوعة العامة يجب ان تتركها عليها قبل اي شيء آخر . ان الديمقراطية هي شكل الحكم الوحيد الذي يصلح للبنان . والقول هنا لميشال شيحا - " مع مجلس تلتقي فيه الطوائف على مراقبة الحياة السياسية ، فاذا حذفتم المجلس نلتم النقاش حتما الى المعبد او الى ظله ، واخرتم بذلك الترم المدنية " . وهكذا كان يقول منذ سنة ١٩٤٢ ، وقد زاد فيما بعد قوله : " ان لبنان لا توائمه الثورات والانقلابات ، وعليه ان يتحاشى الاستبداد والتسلط وتحكم فئة بغثة وضروب العنف جميعا " .

ايها المستمعون الكرام ،

لقد افتتح معالي وزير الخارجية كلمته في الملتقى عند رئيس مجلس امانة الندوة بأن نقل الى الحضور الكرام تحية فخامة رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب الذي عرف ميشال شيحا عن كثب واحبه وتقديره محبة وتقديرا بالغبين .

والندوة كانت قد رفعت الى فخامة اللبناني الاول ، بكل اعتزاز ، كتابها الجديد " لبنان في شخصيته وحنا يقينا منها ان لبنان ، في شخصيته وحضوره ، وفي ما ارتجاه له ميشال شيحا في محاضراته هذه ، انما هو المائل في قلب رئيسنا الكبير وعلى راحته ، فكرا وتولا وعملا ، تصميما وتخطيطا ومنجزات اعطاه ، وهو الذي كان محور لقاء بين الرجلين ، وهو الذي وثق بينهما أواصر مودة وحرمة توافقت في الرؤية المثلى لهذا الوطن ، لتاريخه ، لشعب لرسالته شعبه .

ومما قلناه ايضا في كلمة الاهداء : " ان ما اوتيته ميشال شيحا ، في صفحاته هذه وفي سواها ، من رهاقة الاستشفاف وصدق التفكير وصفاء الايمان ، ان هو الا حصيلة معايشة عميقة للبنان في احق خصائصه ، معايشة كنزتها غيرة الحياة والكتاب ، فتجلت رؤى لهذا الوطن ومتموماته ، يوم كان هذا الوطن في حيرة من وضعه . فكان رؤاه يوم بشها ، كتابه وتولا ، بشها لتقرأ وتفعل ، امس واليوم وغدا وبعد غد ، وتعم كل من يعنى بصير لبنان ، وتعم اخوة له وجارات ، رسائر العالم .

وهذا ما حدثنا على نقلها من الفرنسية الى العربية ، على يد اديب لبناني مرهف ، وما خولنا ان نرفعها الى اللبناني الاول الذي اقام منه توقيدا ايمانه بالحقيقة اللبنانية حارسا لها ، يكلأها بمزيد المحبة والحرص ، فاذا عهده وقف على تعزيز هذه الحقيقة واستنهاض مقوماتها وترسيخها على اسس من الحرية والانفتاح والاعطاء والعدالة والاشراق ، وعلى اسس من التعاون الاخوي المخلص مع الشقيقات العربيات لما فيه خيرها وخير لبنان ايها المستمعون الاحياء ،

عن " لبنان في شخصيته وحضوره " ، قالت جريدة " الجريدة " : ليس هذا الكتاب مجرد محاضرات . انه مدرسة كاملة . ولئن كان نشره بالعربية متأخرة ، فان ثرائه من الواحيات الاولى . هذا الكتاب لا يعلمنا وحسب ، بل انه بطا يختزن من طاقة الايحاء وما يكتنزه من الحرارة والايمان والصدق ، ويوجهنا ويملأنا .

والى اللقاء يوم الثلاثاء القادم ، لننقل اليكم خلاصة محاضرة سيادة المطران نوافيطوس ادلبي عن المجمع المسكوني الفاتيكاني : واقع واتجاهاته ، والسلام عليكم .